هوامش

يحمل أحد شوارع موسكو اسم المناضل الشيوعي العراقي سلام عادل تكريماً لما قدمه للحركة الشيوعية العالمية. واندرج ذلك سابقاً ضمن أيديولوجيا الدولة السوفييتية

النصب التذكاري لشارع سلام عادل (العربي الجديد)

سلام عادل

قصة شارع عربي في قلب موسكو

موسكو ـ **رامي القليوبي**

على بعد كيلومترات من وسط العاصمة الروسية موسكو، ثمّة شارع لا يختلف ظاهرياً عن أي شارع جانبي لكنه يحمل منذ حقبة الاتحاد السوفييتي اسماً عربياً هو سلام عادل، تكريماً لروح المناضل الشيوعي العراقي حسين أحمد الرضي الموسوي، وسلام عادل هو اسمه الحركي. وسبق أن أطلق مجلس بلدية موسكو اسم سلام عادل على قسم من شارع بطل الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) الجنرال كاربيشيف، وذلك بناء على توصية من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي التي دانت انقلاب عام 1963، وإعدام سلام عادل ورفاقه وملاحقة الشيوعيين. وأقيم النصب التذكاري لسلام عادل في بداية الشارع مقابل المستشفى رقم 67 الذي نال بفضله اسم الشارع شهرة بين سكان موسكو. وكُتب على اللوحة التذكارية: «شارع سلام عادل. أطلقت عليه هذه التسمية عام 1963 لتخليد ذكرى الشيوعي الوطني السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي حسين الرضي/سلام عادل الذي قضى في 7 مارس/آذار 1963 على أيدي الرجعيين العراقيين». يتحدث المشرف العلمي في مركز بريماكوف بموسكو، المستشرق رسلان ماميدوف، لـ«العربي الجديد»، عن أن شارع سلام عادل ليس الموقع الوحيد في العاصمة الروسية الذي يحمل اسماً لشخصية شيوعية أجنبية، إذ تكرر ذلك أيضاً في ساحة الزعيم الشيوعي الفيتنامي هو شي مين، ومؤسسة حركة عدم الانحياز، رئيسة الوزراء الهندية السابقة إنديرا غاندي». ويعلّق على الروابط التي جمعت سلام عادل مع الاتحاد السوفييتي السابق، بالقول: «زار عادل بصفته زعيماً للحزب الشيوعي العراقي منذ عام 1955 موسكو مرات للمشاركة في مؤتمرات الحزب الشيوعي السوفييتي، وبينها لحضور المؤتمر الـ22 عام 1961 حين ألقى كلمة». يتابع: «كان سلام عادل شخصية بارزة في الحركة الشيوعية العالمية، ودافع عن مثلها حتى إعدامه إثر الانقلاب الذي نفذه حزب البعث عام 1963. وبعدما تعرّض الشيوعيون لموجة من القمع السياسي الداخلي في العراق، استقرت زوجة سلام عادل وأبناؤه في موسكو فترة من الزمن».

مُلهم اليساريين العرب

لعب سلام عادل دوراً بارزاً في تكوين الفكر اليساري في العالم العربي، وأثر في شخصيات كثيرة، وفق ما يوضح الإعلامي العراقي المقيم في موسكو، سلام العبيدي، وهو نجل الناشط الشيوعي العراقي في خمسينيات القرن الماضي، عادل العبيدي، الذي رحل أخيراً. ويقول العبيدي الذي سمّاه والده باسم المناضل الراحل سلام عادل، لـ«العربي الجديد»: «تأثر والدي المرحوم عادل العبيدي في سن مبكرة بالفكر اليساري، وشارك في أنشطة اليساريين لا سيما في أعقاب ثورة 23 يوليو/تموز 1952 في مصر، والعدوان الثلاثي على مصر عام 1956، ثم انخرط في عمل الحزب الشيوعي في منتصف الخمسينيات، وجمعته لقاءات مع سلام عادل مطلع الستينيات». ويروي قصة انتقال عائلته إلى موسكو، ويقول: «تأثر والدي بشخصية سلام عادل. وبعد انقلاب عام 1963 حُكم عليه بالإعدام لكنه نجا بأعجوبة واستبدل الإعدام بالسجن ثلاث سنوات. وبعدما خرج من السجن استدعته الحكومة السوفييتية للعمل مديراً للمركز الثقافي السوفييتي في بغداد. وتيمناً برفيقه في النضال أطلق علي اسم سلام». ومن مفارقات الحياة أن عادل العبيدي الذي توفي في 19 يونيو/حزيران الماضي، رحل عن العالم أثناء رقوده في المستشفى رقم 67 بشارع سلام عادل ذاته، وهو ما يعلق عليه سلام العبيدي بالقول بنبرة حزينة: «هكذا شاءت الأقدار والحكمة الربانية».

سلام عادل في سطور

وُلد سلام عادل في محافظة النجف الأشرف في عشرينيات القرن الماضي، وتخرّج من المعهد العالي للمعلمين في بغداد وعمل مدرساً ونشط في العمل السياسي في سن مبكرة متأثراً بالفكر الاشتراكي والثورة البلشفية التي أطاحت حكم قياصرة آل رومانوف في روسيا عام 1917. وفي مطلع الأربعينيات، انتسب عادل إلى الحزب الشيوعي العراقي، وترقى في الدرجات الحزبية إلى أن انتخب في منصب أمين السر في منتصف الخمسينيات ووضع ميثاقاً وبرنامجاً جديدين للحزب الذي ساهم بإطاحة الملكية إثر ثورة 14 يوليو/تموز 1958، وخروج العراق من حلف بغداد الإمبريالي المعادي لحركات التحرر. وفي 8 فبراير/شباط 1963، حصل انقلاب في العراق أطاح حكومة عبد الكريم قاسم، وأدى إلى ملاحقة القوى التقدمية في مقدمها الحزب الشيوعي العراقي. وأُلقي القبض على سلام عادل في 20 فبراير، وقتِل تحت التعذيب في 7 مارس من العام ذاته.

باختصار

أقيم النصب التذكاري لسلام عادل في بداية الشارع مقابل المستشفى رقم 67 الذي نال بفضله شهرة بين سكان موسكو

■■■

كان سلام عادل شخصية بارزة في الحركة الشيوعية العالمية، ودافع عن مثلها حتى إعدامه إثر انقلاب حزب البعث عام 1963

■■■

لعب سلام عادل دوراً بارزاً في تكوين الفكر اليساري في العالم العربي، وأثر في شخصيات كثيرة

وأخيراً

دونكيشوتيّو الهوى

نجوى بركات

من يزور بيروت هذي الأيام سيحار في أمر عتمةٍ لا تني تزداد منذ عقود، من دون أن تتمكّن الدولة (أو ما تبقّى منها) من إيجاد حلول لها برغم وجودها، حيث تُجبى فواتير الكهرباء التي ارتفعت بقوّة، من دون أن يحصل اللبناني، في أحسن الأحوال، على أكثر من ساعتين أو أربع من كهرباء في اليوم. بل إنّ اللبنانيين مُهدَّدون دوماً، وفي أكثر من مرّة، بعتمة شاملة تدوم ما تدوم، بانتظار ظهور «زورو» ما يدعم حكومتهم المُعطَّلة بـ«الغاز أويل» الذي تحتاجه مؤسّسة كهرباء لبنان لتغذية التيّار الكهربائي في البلاد.

في الأسبوع الماضي، على سبيل المثال، أعلنت المؤسّسة إيّاها في بيان لها نفاد مخزون «الغاز أويل» بالكامل، ما أدّى بالنتيجة إلى توقّف التغذية بالتيّار الكهربائيّ كلّياً في جميع الأراضي اللبنانية، بما فيها المرافق الأساسية في لبنان (مطار، مرفأ، مضخّات مياه، صرف صحّي، سجون... إلخ)». وقد رأينا صورَ المطار اللبناني مُعتماً عتمةً كاملةً، قبل أن نعرف أنّ مُولّدات خاصّة به عملت على تشغيل مرافقه في حدّها الأدنى. وقد قيل بافتخار، في وسائل الإعلام المحلّية، إنّ هذا لم يمنع المغتربين من الاستمرار في المجيء إلى بلادهم بوجوه بشوشة ملؤها الشوق والحنين، حتّى ليخيّل للرائي أنّ اللبنانيين العائدين من غرباتهم أشباحُ دونكيشوتيةٌ ما زالت ترى فيه جمال الحبيبة دولسينيا، مهما كانت «مُطفَأة وحزينة»، بل مهما فُجّرت، ودُمّرت وشُوّهت واغتُصبت وافتُعلت بها أسوأ الأفعال كافةً. نعم، اللبناني دونكيشوتيّ الهوى، مُغرمٌ بخيال بلاد لا تمنحه شيئاً، ولا تستجيب لحُبّه، بل إنّها تُضيّق عليه وتستعديه وتطرده منها شرّ طردة. ومع ذلك، ينسى أو يتناسى، ويعود ليجدها وقد ازدادت مرضاً وبؤساً وقبحاً، ولا يبالي، ويجدها وقد بُتر مزيد من أطرافها، وبيعت وشُريت وتنكّرت له. ومع ذلك، يبقى يراها جميلةً، يستمدّ من شمسها وجبالها وبحرها طاقةَ فرحٍ وعاطفةٍ لا تمدّه بهما أيّ بقعة أخرى في العالم. حتّى التهديد الجادّ والمحتمل بوقوع حرب شاملة، لا يُثنيه، واحتمال الموت تحت القصف والأنقاض وكأنّه لا يخيفه. «لقد اعتدنا الأسوأ» يقول، وقد يضيف إنّ الأسوأ بعرفنا حالة متحوّلة لا تستقرّ على حال، ولا تعرف ارتفاعاً ثمّ انحساراً، بل هي تدحرجٌ مستديمٌ حثيث نحو هاوية لا تني تتسّع ويبتعد قاعُها. دونكيشوتية متوهّمة أم فصام، هوىً قاتل أم هَوسٌ عقيم؟... «أحلى بلد في العالم هو لبنان» (!) يُردّد معظم العائدين أمام الكاميرا، لدى استقبالهم في المطار. جملةٌ تتكرّر حتّى تبدو فارغةً من معناها، مثل طبلٍ يتردّد صدى فراغه عالياً. ومع ذلك، وفيما القصف جارٍ في الجنوب، والقرى تُدمّر، والتهجير مستمرّ، والخطر يحوم في الأجواء، ثمّة ما يجري في المناطق الآمنة ويفوق كلّ توقّع؛ أعياد واحتفالات ومهرجانات صيفية وحفلات موسيقية ومسرحيات تُعرَض، وجمهور يؤمّ هذا النشاط أو ذاك وكأنّه في بلاد أخرى بعيدةً آلاف الكيلومترات عمّا يجري عند الحدود. دونكيشوتيةٌ خرقاءُ أم فصام؟ الاثنان معاً ربّما، لا لوم من هنا على هناك، والعكس صحيح، وإنّما اعتراف واقعي بوجود جدران فصل شاهقة كتب عليها عبارةٌ مُكرَّرةٌ واحدةٌ: «لا يشبهوننا»، هذي المرّة من الجانبين.

> اللبناني دونكيشوتيّ الهوى، مُغرمٌ بخيال بلاد لا تمنحه شيئاً، ولا تستجيب لحُبّه، بل تضيّق عليه

هل بات اللبنانيون فعلاً جماعات منفصلة متناحرة لا تشبه بعضها بعضاً؟... بحسب رؤية دونكيشوتية متفائلة في نزعها الأخير، ثمّة جانبٌ مشترك لدى الجميع قد يتبيّنه الواقف على مسافة متساوية من الأطراف كافّة؛ هذه الحدّة في المواقف، والإقدام والتطرّف في الاندفاع في هذه الوجهة أو تلك، شيء من الشعور بالعدمية، بمقاومة الواقع وعدم الرضوخ له، مهما قسا واسودَّ وخرَّب وهدّد بالأسوأ.

نعرف، نحن العائدين صيفاً إليه، الحالمين بعودة ثابتة ونهائية، أنّ البلاد تنزلق من بين أيدينا حفنةً من الرمال، وأنّ القشرة الذهبية اللامعة اختفت وبان من تحتها صدأٌ كثيرٌ، وأن أهالينا ماتوا ودُفنوا في بلاد ما عادت تشبه تلك التي سنُدفن نحن فيها، ومع ذلك، نتعلّق بحبال الهواء، بانتظار أن تأتي رياحٌ عاتيةٌ لتعيدنا إلى هناك.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**